بحث في العربيـــة التاريخيـــــة

لابد للباحث في العربية التاريخية واصواتها القديمة من فحص مواده ، التي يقوم عليها بحثه . وهذه المواد التي يصح أن تكون الأصول الأولى للعربية ، هي كلام الله في قرآنه ولا أريد أن أدخل في مشكلة نصوص العلم القديمة في الاحقاب التي سبقت الاسلام . ان لغة الشعر الجاهلي لا يمكن أن تعطي الباحث الوثائق التاريخية التي يهتدي بها إلى العربية القديمة في ألوانها ولغاتها المختلفة . ولا أريد أن أدخل في مسألة انتحال هذا الشعر وما عرض له بسبب الرواة خلال القرون التي أعقبت ظهور الدعوة الاسلامية. ولا أريد أن أعرض كذلك لهذه اللغة الفصيحة المهذبة التي تشعر الباحث أن أصحابها من طينة واحدة ومن بيئة واحـدة

وبسبب من هذه الحيرة في بيئة قديمة لايهتدي السالك فيها الا إلى ظلمة يعسر الخروج منها لابد من اتخاذ العربية في كتاب الله العزيز المادة التي انظر منها إلى تاريخ هذه اللغة وكيف انتهت إلى ما نسميه العربية الفصيحة .

مازال الموضوع مفتقرا إلى شيء من بحث جديد بالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت القرآن . لقد عنى الأقدمون بكتاب الله حتى آلت عنايتهم إلى ما يسمى بـ (علوم القرآن) ثم عنى الأعاجم من المتشرقين بالموضوع نفسه عنلة فائقـة ونظروا إلى القرآن نظرة تبتعد عن نظرات المسلمين ، وانتهت جهودهم إلى نتائج ترضى العلم حينا وتبتعد عنه حينا آخر. ولايهمني هذا الأمر فقد تصدى للحملات التي شنت على الاسلام عامة كثير من المسلمين وغيرهم . ولكن فوائد كثيرة حصلت ضمن مباحث هؤلاء وهؤلاء . وهي من غير شك مازالت مفتقرة إلى نتائج أخـرى .

إن مشكلة جمع آي القرآن في سورة المعروفة مشكلة كبيرة فقد تم جمع أول في خلافـة أبي بكر . وقام به زيد بن ثابت بمشورة من عمر بن الخطاب الذي احتج بأن جمعا من القراء قد قتلوا في يوم اليمامة وخشي أن يذهب عدد آخر « ان استمر القتل بالقراء في المواطن . ثم تهيأ لكتاب الله الكريم ان يجمع في خلافة عثمان ، وقد نذر عثمان لهذه المهمة ثلاثة من أكابر القراء من المكيين وهم عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وواحد من المدنيين وهو زيد بن ثابت . وقال عثمان لرهط القرشيين إذا

اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم »[1] . والذي تعرفه ان في القرآن لغات عدة غير لسان قريش ولا أرى في حاجة إلى التدليل على هذا فكتب القرآن وتفسيره تؤيد هذا .

ولقد استبعد في جمع القرآن مصحف عبد الله بن مسعود وهو أشهر القراء وقد سمع من رسول الله وقد جاء في الأخبار أن الرسول كان يطريه ويوقره ويقربه منه ويؤيده فيما يأخذ عنه[2] وقد تهيأ لهذه الجماعة ان جمعت المصحف العثماني الامام وقد أتى هذا العمل العظيم على الاضطراب الذي اوشك أن يختلف فيه المسلمون « ويكفر بعضهم بعضـا »[3] .

ثم كانت القراءات وكان حديث الرسول المشهور في الاحرف السبعة « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه » . وكثر الكلام في الاحرف السبعة وما تؤدي اليـه[4] .

ولم تكن عملية الجمع التي أدت إلى المصحف العثماني بمبعدة للمصاحف الأخرى فقد ظل مصحف عبد الله بن مسعود ومصحف أبي بن كعب . وقد أبى عبد الله بن مسعود أن يحرق مصحفه أول الأمر وحمل على مصحف عثمان ، وعرض يزيد بن ثابت الذي كان في صلب أبيه حين اعتنق هو الاسلام وإن زيدا كان يلعب مع الصبية حين كان هو يحفظ بضعا وسبعين سورة أخذها كلها من فم الرسول الله ﷺ .

ومن المطيعي ان يكون في مصحف بن مسعود ومصحف أبي بن كعب ما يبعد عما في مصحف عثمان . غير أن العملية تمت واحرق ابن مسعود مصحفه وكأن مصحف عثمان كتبت له السيرورة . غير أن شيئاً لم تقض عليه عملية المصحف العثماني وهو القراءات الكثيرة وسنأتي على هذا الموضوع .

يكرر المعنيون بالدراسات القرآنية أن القرآن جاء بلسان قريش وهذه مقولة لا نجد لها مكانا واضحا يحققه البحث العلمي . لقد ذهب نفر من اللغويين القدامى إلى أن المراد بالأحرف السبعة لغات معينة هي لغات قريش ، وهذيل وتميم ، وازد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر[5] وذهب آخرون إلى أن المراد بها لغات قبائل مضر خاصة وهي : هذيل ، وكنانة ، وقيس وضبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمة ، وقريش[6] والذي نعرفه أن في القرآن من لغات القبائل الأخرى مادة كبيرة فقد أحصى أبوبكر الواسطي منها أربعين لغة في كتابه « الارشاد في القراءات العشر »[7] وضرب أمثلة كثيرة ونماذج مفيدة عرض لها في « الاتقان »[8] .

ويبدولنا من هذه النصوص أن مسالة « لسان قريش » ينبغي الا نأخذها مأخذا ثابتا . فقد جاء في البرهان على لسان ابي عمر بن عبد البر الذي قال : « وأنكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن ، لأن فيها شواذ لا يقرأ بها مثل كشكشة قيس وعنعنة تميم ..... وهذه لغات يرغب بالقرآن عنها »[9] .

وقد استبعد ابن عبد البر أن يكون معنى « سبعة أحرف » سبع لغات فقال : (لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض أول الأمر . لأن ذلك من لغته التي طبع عليها . وأيضا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قريشي . وقد اختلفت قراءتهما ومحال أن ينكر عليه عمر لغته) .

وقد عنى اللغويون الأوائل عناية فائقة بمادة « اللغات » عامة و (لغات القرآن خاصة) والذي نعرفه ان ليونس بن حبيب (المتوفي سنة 152 أو 182 هـ) « كتاب اللغات » وللفراء (المتوفي سنة 207 هـ) وأبي عبيدة بن المثنى (المتوفي سنة 210 هـ) وأبي زيد الانصاري (المتوفي سنة 214 هـ) كتبا في « اللغات » . ولأبي زيد أيضا كتاب في « لغات القرآن » وقد نسب إلى الأصمعي (المتوفي سنة 216 هـ) كتاب اللغات» مثل ذلك قد نسب إلى ابن دريد (المتوفي سنة 223 هـ) . أما في « لغات القرآن » فمنه كتاب ماورد في القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (المتوفي سنة 223 هـ) « وكتاب اللغات في القرآن الكريم » رواية إسماعيل بن عمرو بن حنون المقري (المتوفي سنة 429 هـ) عن ابن عباس . و« كتاب اللغات » لابن برى (المتوفي سنة 582 هـ) .

وقد وصل إلينا من هذه المصنفات رسالتان إحداهما رسالة أبي عبيد القاسم بن سلام « فيما ورد في القرآن من لغات القبائل » وقد طبعت على هامش كتاب التيسير في علم التفسير . للدربني سنة 1310 هـ . وأعيد طبعها على هامش تفسير الجلالين سنة 1356 . والرسالة الثانية هي « كتاب اللغات في القرآن » رواية إسماعيل بن عمرو بن حنون المقرئ عن ابن عباس . وقد طبعت بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مرتين الاولى عام 1946م والثانية عام 1972 م .

ولقد حفلت معجمات العربية بمادة اللغات . وربما كانت « الجمهرة » من أهم المصادر فيما ينسب في العربية إلى لغات اليمن .

واهتمام اللغويين باللغات التي وردت في المصحف والاتساع في القراءات ليشعرنا أن مسألة مجيء النص القرآني بلسان قريش شيء لا نستطيع أن نطمئن اليه كثيرا وقد اهتم بجمع القرآن أبوبكر وعمر وعثمان وأيدهم علي بن أبي طالب فهو القائل « رحم الله أبابكر . هو أول من جمع كتاب الله بين اللوحين »[11] وقد جاء في « الاتقان » أن سويد بن غفلة قال : قال علي : لاتقولوا في عثمان إلا خيرا فوالله ما فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا[12] وقال أيضا : « لو وليت ما ولى عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل »[13] وكأن هؤلاء الأئمة الكبار قد أحسوا أن المسلمين سيختلفون اختلافا كبيراً في كتاب الله يوشك أن يؤدي إلى شر عظيم فعمدوا إلى جمعه وحفظه . وقد دأبوا على مقولتهم المشهورة إن كتاب الله أنزل بلسان قريش وذلك ليكون المسلمون إجماعا عليه خشية أن تتفرق كلمتهم فينتهوا إلى شيع واحزاب

إن عمر كان ينظر إلى الهدف حين سمع رجلاً يقرأ : « عتى حين » في قوله تعالى :

« ثم بدالهم من بعدما رأوالآيات ليسجننه حتى حين »[14] فقال : من اقرأك ؟ قال ابن مسعود فكتب اليه : إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش ، فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل . والسلام.»[15] ويبدو أن حرص عمر بن الخطاب على كلام الله وحرص سائر الخلفاء ابي بكر وعثمان وعلي على الموضوع نفسه جعلهم يتشبثون بهذه المقولة ليبعدوا الألسنة المختلفة المتعددة عن آي القرآن والا تجد طرائق في التعبير سبيلها إلى كلام الله حفاظا على وحدة المسلمين وإجماعا لشملهم .

ولقد ظل هذا ديدن الحاكمين وأولى الأمر في المجتمع الاسلامي دهرا طويلا . ومن أجل ذلك نرى ابن شنبوذ من أصحاب القراءات واشتهر ببغداد في أنه « يقرئ الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف مما يروي عن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل جمع المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان . ويتبع (الشواذ) فيقرأ بها وجادل حتى عظم الامر وفحش وأنكره الناس . فوجه السلطان فقبض عليه يوم السبت لستٍ خلَوْنَ من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، وحمل إلى دار الوزير محمد بن علي ـ يعني ابن مقلة ـ وأحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظره ـ يعني الوزير ـ بحضرتهم ، فأقام على ما ذكر عنه ونصره واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه ..... فضرب بالدرة على قفاه ضربا شديدا ....»[16] مع أنه من الثقات في القراءات ومن المعلوم أن ابن شنبوذ هذا كان لا يرتضي صنيع أبي بكر بن مجاهد من شيوخ الاقراء في عصره فلقد صنف هذا القراءات في سبع واشتهرت هذه القراءات السبع وهذا يعني أن طرائق القراءات المختلفة بقيت معروفة يتداولها المقرئون بحيث اضطر ابن مجاهد إلى صنيعه هذا فأقره أولو الأمر وشاعت السبع[17] ويبدو أن طرائق قد تجاوزت هذه السبع المشهورة فكتبوا المصنفات في العشر منها ثم كتبوا في القراءات الاثنتى عشرة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد نشط اللغويون القدماء فكتبوا المصنفات في الشواذ من القراءات كما فعل ابن خالويه وابن جنى[20] فقد كان للأول كتاب « مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع » والثاني كتاب « المحتسب » في القراءات الشواذ .

لقد اهتم اللغويون بهذه القراءات التي أطلق عليها ، الشواذ ، اهتماما كبيرا . وكأنها سميت الشواذ لابتعادها عن القراءات المشهورة السبع او العشر. ولكنها من غير شك قراءات صحيحة عني بها جماعة من العلماء الثقات . وهذا يعني أن اللغويين لم يأبهوا بما يحرص عليه أولو الأمر من وجوب التمسك بعدد قليل من القراءات .

يقول ابن جنى في « المحتسب » : « القراءات على ضربين » ضربا اجتمع عليه اكثر قراء الأمصار ، وهو ما أودعه أبوبكر احمد بن موسى بن مجاهد[21] رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وهو بشهرته غان عن تمديده . وضربا تعدى ذلك ، فسماه أهل زماننا شاذاً ، أي خارجا عن قراءة القراءات السبعة المقدم ذكرها ، الا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من امامه ووزانه . وعنه . او كثيرا منه مساوٍ

في الفصاحة للمجتمع عليه . نعم كان فيه ما تلطف صنعته وتعنف بغيره فصاحته وتمطوه قوى أسبابه ، وترسو به قدم إعرابه ، ولذلك قرأ بكثير منه من جانب ابن مجاهد عنان القول فيه . وما كنه عليه . وراده اليه كأبي الحسن محمد بن احمد بن شنبوذ ، وأبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم[23] وغيرهما ممن أدى إلى رواية استقواها ، وأنحى على صناعة من الاعراب رضيها واستعلاها . ولن نقول ذلك فمحا بخلاف القراء المجتمع في أهل الامصار على قراءتهم . او تسويغا للعدول عما أقرته الثقات عنهم . لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذا ، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه . آخذ من سمت العربية مهلة لئلا يرى مُرّى[23] ان العدول عنه إنما هو غضّ منه او تهمة له . ومعاذ الله : وكيف هذا والرواية تنميه إلى رسول الله ﷺ . والله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه » وهذا حكم عام في المعاني والالفاظ . وأخذه . هو الأخذ به ، فكيف يسوغ مع ذلك ان نرفضه ونجتنبه . فإن قصر شيء منه عن بلوغه إلى رسول الله ﷺ فلن يقصر عن وجه من الاعراب داع إلى الفسحة والاسهاب . إلا أننا ولم في التلاوة به مخافة الانتشار فيه ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية . فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا وانه مما أمر الله تعالى بتقبله وأراد منا العمل بموجبه . وانه حبيب إليه . ومرضيٌ من القول لديه . نعم وأكثر ما فيه يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه إعرابا وأنهض قياسا . إذ هم جميعا مرويان مسندان إلى السلف (رضي الله عنهم) فإن كان هذا فادحا فيه . ومانعا من الأخذ به فليكونن ما ضعف إعرابه مما قرأ به بعض السبعة به هذه الحالة ونحن نعلم مع ذلك ضعف قراءة ابن كثير[25] « ضناء »[26] بهمزتين مكتنفتي الألف . وقراءة ابن عامر[27] : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتْلُ أولادهم شركائهم » وسنذكر هذا ونحوه في مواضعه متصلا بغيره . وهو مع ذلك مأخوذ به »[28]

ويتبين مما ذكره ابو الفتح في فاتحة « المحتسب » ان ما يدعى من القراءات شاذا هو وجه قوي من القراءة وهو جدير بالوقوف عنده والأخذ به على أنه طريقة في الاداء لجماعة من الناس . وإن أصحاب هذه الشواذ من ثقات العلماء رواية ودراية .

وابن جنى لغوي ضليع . وهو بسبب من ذلك ينظر إلى الدقائق اللغوية في القراءة ولا يتجنب الوقوف على كل وجه من وجوه هذه الألوان الشاذة لاشتمالها على حقائق لغوية تتصل بلغة الناس .

ومما يؤيد هذا الذي أذهب إليه أنه عقد بابا في « الخصائص » عن « اختلاف اللغات وكلها حجة » تكلم فيه على اللغات والمفاضلة بينهما . فذهب إلى أن « اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها ، لكن غاية مالك في ذلك ان تتخير إحداهما فتقويها على أختها . وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسابها ، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا .

او لا ترى قول النبي ﷺ : نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف »[29] وعرض ابن جني للقياس في اللغات الضعيفة . أو القليلة الرواية . فذهب إلى أنه يأخذ بأوسع اللغتين رواية وأقواهما قياسا . وأتخذ من العنعنة والكسكسة . والتلتلة . والكشكشة والتضجع . ونحو ذلك أمثلة على ذلك ولكنه استدرك فقال : « وكيف تصرفت الحال . فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وان كان غير ما جاء به خيرا منه »[30] لعل القراءات ولا سيما ما أطلق عليها شواذ من أوضح الأمثلة التي يستدل بها على أن العربية لم تكتمل في لونها الفصيح الموروث الا بعد زمان طويل من ظهور الاسلام . وبعد عمل جاد من اللغويين والنحاة يدفعهم إلى ذلك حرص الحاكمين على الحفاظ على نمط عال من الفصاحة جمع من قبائل معينة . فاستحسنت لغات تلك القبائل كما إستبعدت لغات قبائل أخرى .

جاء في المزهر للسيوطي نقلا عن كتاب « الالفاظ والحروف للفارابي » : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، إن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه . عليهم إتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم »[31] .

ثم يبين القبائل التي استبعدها اللغويون العرب فيقول : وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم أهل الشام . وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية[32] ولا من تغلب والنمر ، فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان . ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس . ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة . ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم »[33] .

غير ان اللغويين لم يطرحوا اللغات التي استبعدوا الاخذ عنها بل راحوا على العكس من ذلك يسجلون نماذج هذه اللغات وخصائصها وعيوبها وكتبوا فيها المصنفات ومن ذلك :

1 ـ كتاب لحن العوام المنسوب إلى علي بن حمزة الكسائي (المتوفي 189 هـ) وهي رسالة صغيرة نشرها عبد العزيز الميمني سنة 1387 هـ

2 ـ لحن العامة لأبي زكريا الفراء (المتو في 207 هـ)

3 ـ ما يلحن فيه العامة لأبي عبيدة معمر بن المثنى (المتوفي 210 هـ)

4 ـ ما يلحن فيه العامة للأصمعي (المتوفي 216 هـ) .

5 ـ ما خالفت فيه العامة لغات العرب لأبي عبيد القاسم بن سلام (المتوفي 223 هـ)

6 ـ ما يلحن فيه العامة لأبي نصر أحمد بن حاتم (المتوفي 231 هـ)
7 ـ اصلاح المنطق لابن السكيت (المتوفي 244 هـ) وقد نشره عبد السلام محمد هارون
8 ـ الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب (المتوفي 291 هـ) وقد نشره . ج بارث في ليبزج سنة 1876 م . ثـــم نشره محمد عبد المنعم خفاجي بمصر 1949 م وقد حظي هذا الكتاب باهتمام نفر من اللغويين الاقدمين فشرحوه واستدركوا عليه كما عرضوا لوهم ثعلب فيـه .
9 ـ لحن العوام لأبي بكر الزبيدي المتوفي سنة 379 هـ . حققه الدكتور رمضان عبد التواب وصدر سنـــة 1964 . كما حققه الدكتور عبد العزيز مطر بعنوان « لحن العامة » وصدر في الكويت سنة 1968 .
10 ـ تثقيف اللسان وتنقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي (المتوفي سنة 501 هـ) حققه الدكتور عبد العزيز مطر ونشر عام 1966 م .

11 ـ تقويم اللسان لعبد الرحمن بن الجوزي (المتوفي 597 هـ) وقد حققه الدكتور عبد العزيز مطر وصدر عام 1966 ولا ننسى ان معجمات العربية وكتب التفســـــير قد أشارت إلى كثير من اللغات الخاصة والآن لابد ان نرجع إلى نصوص العربـــــية لنرى هذه اللغات المستبعدة « عن الفصيحة » المشهورة وأين وجدت ومن أولئـــــك الذين باشروها في سلوكهم اللغوي ؟
من غير شك أن الشعـر القديم بعيد كل البعد عن هذه الألوان اللغويـة سـواء في ذلـك الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي فلا يكاد الدارس يعثر فيه على نماذج لغوية خاصة وهذه الظاهرة تحفزنا إلى النظر في طريقة رواية الشعر وجمعه ومن قام بهذه المهمة العسيرة وللاجابة عن هذه التساؤلات نقول : ان اللغويين والنحاة الاوائل في القرن الثاني الهجري وفي القرن الثالث اهتموا برواية الشعر وجمعه . واتخذوا طرائق صارمة في نقد الشعر والعناية به . واجمعواعلى موازين دقيقة في تخير الفصيح . وأكبر الظن أنهم أهملوا من هذه النصوص ما لم يتفق وما قرروه من ضوابط وقواعد . وبسبب من هذا خلا ديوان الشعر العربي القديم من نماذج تفصح عن اللغات التي استبعدوها لبعدها عن حيز الفصاحة الذي رسموه .

غير أننا نجد في مواد القراءات شيئا من عناصر هذه اللغات المستبعدة . ولعل السبب في ذلك أن جمهرة المعنيين بالقراءات لم يسلكوا في صنف اللغويين النقاد . ومن أجل ذلك واجه النحاة اللغويين نماذج من ألوان القراءة بحيرة انتهوا منها الى طريقتهم الخاصـــة فتأولوا ما لم ينسجم مع القاعدة النحوية او القاعدة اللغوية . وربما تشدد نفر من النحاة فحمل وجها من وجوه القراءة على الخطأ كقراءة نافع في قوله تعالى : (وجعلنا لكم فيها معاشاً)[34] وأكثر القراء على ترك الهمز في « معايش » وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ[35] وهذا يعني أنهم خطأوا نافعا ونافع أحد السبعة وقراءته عالية ، ولعل النحاة لم يكثروا من الاستشهاد بالقرآن ـ وهم على خطأ كبير ـ بسبب من ان اصحاب

القراءات لم يكونوا من المتضلعين بالعربية . ومن المفيد ان نرجع إلى ألوان من القراءات الشاذة نتخير منها ما يتصل بمادة هذه اللغات التي تجافاها اللغويون فبقيت في هذه المظان لا يعرفها الا الدارسون الذين يتحرون تاريخ هذه اللغة . وقد يعجب الدارس ايما عجب أنه لا يرى هذه « الغرائب » اللغوية إلا في هذه القراءات وفي شذرات لغوية أخرى .

وقد يعجب الدارس ان يرى أئمة الفصاحة يباشرون الوانا من النطق والتعبير تبدو غريبة في المتعارف الموروث . لقد جاء في شواذ سورة الفاتحة من « مختصر » ابن خالويه . « ذكر الخليل بن احمد في العين » ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقرأ : واياك نستعين « يشبع الضمة في النون وكان عربيا قلبا أي محضا . قال ابن خالويه : وقد روي عن ورش انه كان يقرؤها كذلك »[36] .

أريد أن أقف على تعليق الخليل بن أحمد على قراءة علي بن أبي طالب التي اشبع فيها نون « نستعين » فأقول : كأن الخليل أراد أن يقول أن ماعُدَّ شاذا من وجوه القراءة هو عربي فصيح جرى على لسان أفصح الناس بعد رسول الله وهو علي بن أبي طالب وهنا تبطل حجة المتقصين من القراءات الشاذة والزارين عليها في قولهم ان جل أصحاب القراءات هم من الأعاجم الذين يفتقرون إلى السليقة العربية . ومن أجل ذلك عابوا على الحسن البصري نماذج من القراءات وحملت على الخطأ كقراءته « وما تنزلت به الشياطون »[37] وقراءته : صادى بدلا من ص[38] ومن المعروف أن الحسن البصري لم يكن عربيا اصالة مع أنه ثُقِفَ العربية وتضلع منها بحيث أن أبا عمرو بن العلاء ورؤبة بن العجاج قد شهدوا بفصاحته وانه يملك من التصرف بالعربية قدرا . لقد ذكر الجاحظ « وقد زعم رؤبة بن العجاج وأبو عمرو بن العلاء أنهما لم يريا قروين أفصح من الحسن والحجاج »[39] وقرأ الحسن البصري ورؤبة بن العجاج : الحمدلله بكسر الحمد وتوجيه القراءة ان الكسرة المجاورة سوغت هذا . وكما اتبعت كسرة الدّال لكسرة اللام جرى اتباع آخر من نوع آخر فقد قرأ ابراهيم بن أبي عبلة الحمدلله بضم الدال واللام وهو شيء من غرائب هذه القراءات الشاذة وقرأ أيوب السختياني : ولا الضالين بالهمز وهو من هذه الغرائب التي تجافتها العربية الفصيحة التي ورثناها عن قدامي اللغويين والنحاة .

من شواذ سورة البقرة جاء في مختصر ابن خالويه

اجتزئ من هذه الشواذ بالقدر الذي يكشف عن الوان وغرائب لغوية مما يتصل باللغات لخاصة ذلك أن ما اشتملت عليه هذه الشواذ أمور كثيرة بعضها شيء يتصل بالنحو لا ينسجم والوجوه النحوية المشهورة فلا يتوصل إليه إلا أن يتأول تأولا قريبا أو بعيدا . وبعضها صرفي يبتعد عن الابنية المشهورة في العربية . وبعضها مسائل تتصل بـ (أصوات العربية) وفي هذه المسألة الأخيرة شيء خاص هو أن الانتقال من صوت إلى صوت يسوغه مخرج الصوت وحيزة كالتحول من الحاء الى الهاء أو من الهمزة الى العين أو من الذال الى الدال . وقد يكون

التحول بسبب لا يتصل بقرب المخرج وتشابه الصفة في الصوت وإنما هو تشابه « الرسم » وسأولي هذه المسألة فضلا من عنايـة. قال تعالى : « وبالآخرة هـم يؤقنون » الآية 4 بالهمزة وهي قراءة أبي حيوة النميري .

أقول ان همز الفعل « يوقنون » في الآية المذكورة يشعر ان ماضيه « أقن » وليس هذا صحيحا .

وقال تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة » الآية 7 بكسر الغين من « غشاوة » كما في القراءات المشهورة العالية وبالرفع .

وقد وردت منصوبة في قراءة عاصم . وهي بضم الغين مع الرفع في قراءة الحسن وهي غشوة على فعلة بضم الغين مع النصب وهي قراءة سفيان وأبو رجاء وهي غشاوة بفتح الغين مع النصب في قراءة الحسن أيضا وهي « عشاوة » بالعين المهملة المفتوحة مع الرفع . وهي قراءة طاووس .

وبين صوتي الغين والعين إبدال كثير في آي القرآن . وفي العربية مادة كبيرة من هذا الباب ووجه القول فيها أن مسوغة هـذا الابدال الصوتي قـرب مخرجـي العين . وسترى في آي القرآن أمثلة كافية من هذا النوع من الابدال الصوتي وقال تعالى : « انما نحن مستهزيون » الآية 14 بغير همز وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع . وهو معروف في أصحاب القراءات المشهورة . والذي نعرفه في علم اللغة ان الفعل « استهزأ » مهموز دائما ولا تسهل هذه الهمزة الا ان اضطروا كان تقع الكلمة في حشو الشعر وهمزها يقدح في وزن البيت . او ان تكون الهمزة غير مستحسنة من الناحية الصوتية كما في قوله تعالى : « واتخذوا آياتي ورسلي هزوا » « سورة الكهف الآية 106 » وقد وردت الكلمة في احدى عشر آية من سورة مختلفة كلها بتسهيل الهمزة . وهذا يعني أن التسهيل قد استحسن . ولعله اكرم وقعا على الاذن من الكلمة . ومن المعلوم ان القراءة بالهمز جائزة لأنها صحيحة في العربية .

غير ان تسهيل الهمز وان اثر عن اللغة القريشية الا أن اللغة الفصحى التزمت الهمز وبه جاءت لغة التنزيل . ومن المعلوم ان العربية المنطوقة في الأقاليم منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا لا تلتزم الهمز الا أن كانت الكلمة مبدوءة بهمزة نحو أكل وأخذ . على أن طائفة من الكلمات المهموزة الفاء تسهل فيها الهمزة في اللغات الدارجة فلا يقال الف بل يقول ولف ولا يقال المه في قرى العراق بل يقال ولمه وقال تعالى : « من الصواعق حذر الموت » الآية 19 » كما هي في القراءات المشهورة وقرأ الحسن من الصواقع »والصواعق جمع صاقعـة على القلب والقلب في العربية ظاهرة واضحة افردلهـا اللغويون مصنفات خاصة كقولهم جدب وجبذ . ومسرح . ومرسح وهو كثير جدا . غير ان الراجح هو أن الكلمة لها صورة مشهورة عرفت بها وشاعت أما الصورة المقلوبة الأخرى فهي من اللغات الخاصة والدليل على ذلك ان القلب شائع في اللهجات العربية الحديثة بالنسبة إلى الكلمات الفصيحة .

وقال تعالى : يكاد البرق يخطف ابصارهم . « الآية 20 » بفتح الطاء وهو القراءة المشهورة

الا أن الاعمش وهو من كبار القراء قرأ « يخطف » بكسر الياء والخاء والطاء وتشديدها إن مجيء القراءة بهذا الشكل الغريب يزود الدارس ببناء Schéme من أبنية الافعال لاتعرفه العربيـة .

وقرأ أيضا « يخطف » بفتح الياء والخاء كسر الطاء وتشديدها وهو بناء غريب آخـر لا تعرفه العربية . وحكي الفراء عن بعضهم يخطف بفتح الياء وكسر الخاء والتشديد .

ومن المناسب أن نقول أن الفراء حكى عن « بعضهم » أي أن « بعضهم » هذا كان يقرأ في طريقته التي ألفها وباشرها . وربما كان « بعضهم » هذا اكثر من واحد . وهو وإن كان واحدا فلابد أن يكون قد نطق بلغة بيئته ومن خالطهم من أهله وعشيرته . ثم ان رواية الفراء لهذه القراءة وهو من اللغويين النحاة ورأس أهل الكوفة في النحو واللغة ومن المعنيين بـ « القرآن » . ذات قيمة تاريخية كبيرة . وهو بناء غريب بعيد عن فصيح العربية . ومن أهل المدينة « يخطف » باسكان الخاء والتشديد في الطاء مع كسرها . وهذا بناء اغرب من الابنية المتقدمة لمـايعرض لها من صعوبة النطق . ان نسبة هذه القراءة لأهل المدينة تعني شيئا يند عن قراءة « نافع » ومعنى ذلك أن المألوف السائر من ألوان التعبير والاداء وجد سبيله إلى قراءات القرآن .

قال تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا » « الآية 34 » ان « الملائكة » مجرورة باللام وقد وردت في قراءة أبي جعفر بضم التاء . فكان حرف الجر لا عمل له . وهو أمر غريب .

قال تعالى : « واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا » « الآية 48 » . قرئت « تجزي » بفتح التاء والهمزة ذكره أبو حاتم السجستاني .

قال تعالى : « وايّايَ فارهبون » « الآية 41 » قرأ عبد الرحمن الاعـرج باسكان الياء وهذه القراءة التي التزمت الاسكان لتشعر بالطريقة المألوفة في كلام الناس البعيدين عن الفصاحة .

قال تعالى : « وهو على كل شيء عليم » « الآية 29 » قرأ ابن عامر « هو » بتشديد الواو، ذكر القراءه الاخفش . وتشديد الواو في الضمير « هو » من لحن العامة كما هو معروف . وابن عامر احد السبعة ويقرئ أهل الشام .

قال تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة » « الآية 35 » قرأ يحى بن وثاب « ولاتقربا » بكسر التاء . وقرأ أبو السمال . هذه الشجرة بكسر الشين وحكي أبو زيـد أنهـا قرئت « هذه الشيرة » بكسر الشين والياء . وهذه القراءة الاخيرة تذكر بالشام اللغوي المشهور .

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فلا جاد كن الله من شيرات (41)

والبيت لأم الهيثم . ومن المعلوم ان هذه القراءات تتفق ومـا هو حـار في لحـن العامـة .

قال تعالى : « واذكروا مافيه لعلكم تتقون » « الآية 63 » قرأ يحى بن وثاب « وادكروا » بالدال المهملة المشددة في هذه القراءة مسألة صوتية تتصل باد غام الذال وهو الصوت الأصلي بالتاء التي تحولت إلى دال مهملة لمجاورة الذال ثم ادغمت في الذال فصارت دالا مشددة ويجوز ان تقرأ سيرا مع قراءة يحى بن وثاب المشددة « واذكروا » وذلك في أن

الادغام يحصل بين الدال التي جاءت من تاء « افتعل » والذال الأصلية وهي فاء الفعل .

قال تعالى : « واخذتكم الصاعقة » « الآية 55 » وقرأ علي بن أبي طالب « واخذتكم الصعقة ومجيء هذه القراءة العالية مسندة إلى علي بن ابي طالب وهو أعلم الناس بكتاب الله ذو قيمة تاريخية مهمة . ثم ان خروج هذه القراءة العالية عما هو معروف من القراءات المشهورة يفيد فائدة كبيرة في أن ما حمل على الشواذ ذو قيمة كبيرة .

قال تعالى : « فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض : من بقلها وقثائها ....» « الآية 61» وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس « وثومها » بالثاء ومن هنا نعرف ان المسالة الصوتية حولت « الثوم » إلى فوم وذلك للقرابة الصوتية في ان من عناصر حيز الثاء والفاء هو الشفة . وإذا عرفنا هذه المسألة الصوتية أدكنا أن تفسير « الفوم » بـ « الحنطة » كما ورد في كتب المفسرين خطأ محض . وقد ذكر الزمخشري في « الكشاف »[1] قراءة ابن مسعود واخذ بها فقال والثوم للعدس والبصل (في الآية) أوفق .

قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ...» « الآية 62 » وقرأ عبد الرحمن الاعرج : « والصابيين » بالياء لا الهمز فكان الأصل هو « صبا » وليس المفعل المهموز « صبأ » وهذا من تسهيل الهمز الذي هو شائع في اللسان الدارج كما بينا .

قال تعالى : « ان البقر تشابه علينا » « الآية 70 » وقرأ محمد ذوالشامة من اصحاب القراءات : « ان الباقر يشابه » والباقر اسم جمع كالبقر ومثله الجامل لجمع الجمل والماعز كالمعيز والضائن والضئين وكذلك البقر والباقر والبقير .

وهذه الاسماء التي دلت على الجمع هي من أقدم مواد العربية . وقد اوشك شيء منها ان يزول من العربية الفصيحة في عصرنا . ثم ان الفعل « يشابه » بتشديد الشين هو « يتشابه » في الأصل ثم عرض له الادغام . ومازال هذا الفعل في بنائه المشدد معروف في عاميتنا الدارجة في العراق .

قال تعالى : « فان لكم ما سألتم » « الآية 61 » وقرأ ابراهيم النخعي : « فان لكم ماسألتم » بكسر السين . وكسر اول الفعل الماضي من النطق العامي في مواطن كثيرة .

قال تعالى : « ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار » « الآية 126 » وقرأ ابن محيصن : « ثم أطره » بادغام الضاد في الطاء وهو ادغام غريب لا يرد الا نادرا .

وقال تعالى: « وما كان الله ليضيع ايمانكم» ان الله بالناس لرؤوف رحيم» الآية 143 » وقرأ الزهري « لرؤف رحيم » بغير همز وبوزن « رعف» بضم العين . وقرأ ايضا « لروف » باسكان الواو .

قال تعالى : « لئلا يكون للناس عليكم حجة » « الآية 150 » وقرأ ورش عن نافع : « ليلا » بغير همز وهو من باب تسهيل الهمز الذي تحدثنا عنه .

وقال تعالى : « ان آية فلكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة » « الآية 148 » وقرأ أبو السمال : « سكينة » بتشديد الكاف ، ولا وجه لها في العربية الفصيحة .

شواذ سورة النساء مما جاء في « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى . « وان كان رجل يورث كلالة أو أمرأة وله أخ ....» « الآية 12 » لم ينسب ابن خالويه هذه القراءة واكتفى بنسبتها الى مجهول فقال : « عن بعضهم ومهما يكن من شيء فالقراءة على هذا الوجه من التشديد مازالت حيةً في لغاتنا الذارجة . فالعامة يقولون : « أخ » بتشديد الخاء كما يقولون « أبّ » . وقد أورد ابن خالويه تعليقا لابن دريد فقال : قال ابن دريد : التشديد لغة . قال ابن خالويه: واهل العربية يرونه لحنا لأن لام الفعل واو.

وقال تعالى : « ولكل جعلنا موالي » « الآية 33 » وقرأ مجاهد : « ولكل جعلنا قوال » بالتنوين . قال ابن خالويه وانما يجوز مثل هذا في الشعر كقول الشاعر :

« فلو أن واش باليمامة داره »

وهذا نموذج من القراءات التي لا يرضاها النحاة لابتعادها عن سنن القواعد النحوية وقال تعالى : « والذان يأتيانها منكم »«الآية 16»قرأ بعضهم « والذان » بالهمز وهذه القراءة وان نسبت إلى « بعضهم » ذات قيمة لغوية . ومثل هذه القراءة وردت في قوله تعالى : « قالوا ان هذان لساحران » سورة طه الآية 63 فقد قرئت : « هذأن » .

وقال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » « الآية 43 » .

وقرئت « سُكْرَى » ونسبت إلى الاعمش . وهو امر غريب لأن الكلمة ينبغي أن تكون جمعا ولم يأت في أبنية جموع التكسير « فعلى » وقرأ ابراهيم « سُكْرَى » والقراءة غريبة لأنها مؤنث سكران ومثل هذا ورد قوله تعالى : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » . الآية 142

وقرا عيسى بن عمر « كسالى » بفتح الكاف وهي لغة تميم وقرأ جناح بن حبيش : « كسلى » و« كسلى » الاولى بضم الكاف والثانية غريبة ايضا لأن كسلى . بفتح الكاف مؤنث كسلان لا جمع له .

قال تعالى : « ولتأت طائفة أخرى .... » « الآية 102 » وروي القاسم ابن عبد الواحد عن ابن كثير انه قرأ « طايفة » بالياء لا اهمز . والعدول عن اهمز إلى الياء في اسماء الفاعلين من الفعل الاجوف من خصائص اللهجات الدارجة .

شواذ سورة المائدة من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا أحلت لكم بهيمة الانعام » « الآية 1 » .

قرأ أبو السماح : « بهيمة » بكسر الياء . قال ابن خالويه : اذا كانت العين حرفا حلقيا فمن العرب من يتبع حركة التاء حركة العين فيقول : سِعير وبعِير ورغِيف ورِحيم وانا شيخ ضعيف .

أقول : ان كسر الفاء في « فعيل » ظاهرة لغوية عامة في كثير من اللغات الدارجة في عصرنا فنقول : « كِبير » و« نِظيف » و« سِمين » . ولكن لهذه الظاهرة شواذ منها اننا نقول : « رحيم » ولعل ذلك جاء من آية البسملة ونقول : عَتيق وعجيب كل ذلك بفتح الفـاء .

وقال تعالى : « وجعلنا قلوبهم قاسية » « الآية 13 » . روي الضبي أن يحى بن يعمر قرأ : « قسية » بضم القاف . وقرأ بعضهم بكسر القاف والسين

وقال تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعبا » « الآية 58 » .

وقرأ بعضهم : « ولعبا » بكسر اللام واسكان العين قال ابـن خالويـــه مثل : فخذ وفخذ وكلمة وكِلمة .

وقال تعالى : « وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت » « الآية 60 » .

الكلام في هذه الآية على : « وعَبَدَ الطاغوت » وهي فعل ومفعول به ، ولكن هذه العبارة القصيرة « عبد الطاغوت » تتحول في القراءات إلى صور عدة . قال ابن خالويه : فيها تسع عشرة قراءة . وفي هذه القراءات الكثيرة يتحول الفعل « عبد » إلى اسم على أبنية مختلفة مفردا تارة وجمعا أخرى والجمع على أبنية مختلفة ، او ان الفعل يبقى فعلا ولكنه يتغير باسناده إلى ضمائر مختلفة . أما الطاغوت فهو اما مفعول به او مجرور بالاضافة او مرفوع على الفاعلية والخبر . وفي هذه القراءات ابنية غريبة يصعب تأويلها نحو « عبد الطاغوت » بضم العين واسكان الياء وفتح الدال وهو مضاف إلى الطاغوت وهذه قراءة الحسن والوجه فيها عسير . و« عبد الطاغوت » بفتح العين وضم الياء وفتح الدال والطاغوت مضاف اليه وهي قراءة حمزة ولا ندري وجهها . و« عبد الطاغوت » وهذه كسابقتها الا أن الطاغوت منصوب وهي قراءة يحيى بن وثاب . واذا كان « عبد » في هذه الاخيرة فعلا والطاغوت مفعول به فالغرابة فيها ان « فعل » بضم العين لايأتي منه فعل الا لازمـا في حين ان « عبد » متعد وهذا امر غريب .

ومن المهم ان بين هذه القراءات قراءة عاليـة لاعلم الناس بكتاب الله وهو على بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقد قرا « عبد الطاغوت » جمع عابد مثل طالب وطلبة وقال تعالى : « وتعلم مافي نفس ولا أعلم ما في نفسك » الآية 16

وقرأ الاعمش « وتعلم » و « لا أعلم » بكسر التاء والهمزة في الفعلين . وهذه مسألة لغوية ذكرها اللغويون القدامى على أنها من اللغات المذمومة وهي في اصطلاحهم تلتلـة بهراء وما زالت هذه الظاهرة اللغويه حية في عربية الاقاليم المحكية في عصرنا .

شواذ سورة الاعراف من كتاب « المختصر » لابن خالويه

وقال تعالى : « عجلا جسدا له خوار » « الآية 148 » وقرأ أبو السمال « له جؤار » بالجيم والهمـز .

وهذه من المسائل التي قد يظن أنها ترجع إلى تشابه الرسم بين الجيم والخاء في العربية إذ لا قرابة صوتية بين الصوتين في المخرج والحيز والصفة . وقد يقال ان « الجؤار » في قراءة أبي السمال يدل على الصوت فهو من المصادر التي تقيد الاصوات كالصراخ والنباح وغيرها . وقد اعتمد الجوهري على القراءة فذكر : ان الجؤار مثل الخوار . جأر الثور والبقرة يجأر جؤار : صاحا . وخار يخور خوارا بمعنى واحد . الا أن أكثر القراء قرؤوا : « خوارا » بالخاء المعجمة الفرقية .

والذي دعاني إلى هذا الايضاح والاستدراك ان « الجؤار » بالجيم هو ليس من الاصوات الخاصة بحيوان معين في حين ان الخوار بالخاء من الاصوات الخاصة بالحيوان المعروف لقد انصرف « الجؤار » إلى الصوت عامة فقد جاء في « اللسان » : جأر يجأر جأرا وجؤارا : رفع صوته مع تضرع واستغاثة . وفي التنزيل اذ هم يجأرون . وقال ثعلب : هو رفع الصوت بالدعاء . وجأر الرجل إلى الله إذا تضرع بالدعاء . وفي الحديث : كأني انظر إلى موسى له جؤار إلى ربه بالتلبية . وقال تعالى: « ولما سكت عن موسى الغضب » « الآية 154 » وقرأ معاوية بن قرة : « سكن الغضب » بالنون لا التاء وصحيح ان الدلالة في المادتين قد تؤدي إلى نتيجة واحدة في المعنى العام الا أن للسكوت خصوصية معنوية غير السكون .

أقول : لعل هذه القراءة الشاذة جاءت من تشابه الرسم بين النون والتاء .

وقال تعالى : « واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس » « الآية 165 » .

وقد قرأ عاصم : « بعذاب بيئس » على وزن فيعل او « بيئس » بفتح الهمزة وقرأ الزهري : « بعذاب بيس » مثل شين . وقرأ ابن كثير : « بعذاب بيس » مثل عيد . وقرأ نصر بن بن عاصم : « بعذاب بييس » بياءين . وهذا كله من القراءات التي ابتعدت عن البناء الفصيح المثبت في الآية الكريمة .

شواذ سورة الانفال من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « يسألونك عن الانفال » « الآية 1 » .

وقرأ ابن محيصن « علنفال » بالادغام . وهذا الادغام الحاصل من حرف الاضافة « عن مع لام التعريف كثير في اللغات الخاصة ومثله « على » ومن قوله تعالى : « ويمسك السماء ان تقع علرضي » (الحج 65)

وقال تعالى : « فاما تثقفنهم فشرد بهم من خلفهم » « الآية 57 » .

وقرأ ابن مسعود : « فشرد » بالدال . وهي قراءة غريبة اذ لا معنى لـ « شرد » بالذال المعجمة ولم تؤد معنى « شرذ » بالذال المهملة الا ان تكون مأخوذ من لسان هذيل[43] خاصة ولم تعرف في سائر العرب . ولكن هذه القراءة ذات قيمة لغوية تاريخية لما نعرف من مكانة ابن مسعود واهتمامه بالقراءة وسماعه عن رسول الله ﷺ .

شواذ سورة التوبة من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى: « ثم لم ينقصوكم شيئا » « الآية 54 » وقرأ عطاء بن يسار : « ثم لم ينقضوكم شيئا » بالضاد المعجمة . وتوجيه هذه القراءة أنه قد يكون للقرابة الصوتية بين صوتي الصاد والضاد أثر في ذلك فالصاد صوت اسناني لغوي رخو مهموس مفحم . والضاد صوت اسناني لغوي شديد مجهور مفحم . وهذا النوع من الابدال الصوتي حاصل في « حصب جهنم » و« حضب جهنم » و« قبض قبضة من أثر الرسول » و« قبص قبصة من أثر الرسول » وفي آيات أخرى(٤٤)

وقال تعالى : « فتكوى بها جباههم » « الآية 35 »

وقرأ أبو عمرو في رواية : « جباهم » بادغام الهاء في الهاء . وهي قراءة غريبة وذلك أن الكلمة يعرض لها ما دعوه بـ (التقاء) الساكنين نتيجة ادغام الهاء بالهاء وهذا يؤلف صعوبة نجنبتها العربية الفصيحة في كثير من الكلمات ولم يبق من ذلك الاقليل من الالفاظ مما لا يمكن ان يتخلص فيها من هذا الثقل الذي يعرض لها بسبب إلتقاء الساكنين نحو حمارّة القيظ وصبارّة القر واحمار واخضارّ وتتبعان وتضام وغيره . ومن المفيد ان هذا كثير في اللهجات الدارجة .

من شواذ سورة يونس من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت » « الآية 24 »

وقرأ ابوعثمان النهدي : « وازيأنّت » وهو من الغرائب لبعد الأصل « زين » عن « زان » التي لا وجود لها في العربية الا في هذه القراءة .

من شواذ سورة يوسف من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « نفقد صواع الملك » « الآية 72 » .

وقرأ ابو هريرة وجماعة : « صاع الملك » والقراءة مقبولة مفهومة . وقرأ يحيى بن يعمر : بالغين المعجمة وفتح الصاد . وقرأ عبد الله بن عون : « صوغ » بضم الصاد والغين المعجمة . وقرأ سعيد ابن جبير : « صواغ » بضم الصاد والغين المعجمة . وقد تكلمنا على الابدال الصوتي بين العين المهملة والغين المعجمة في « غشاوة » و « عشاوة » من سورة البقرة .

وقال تعالى : « فتحسسوا من يوسف » « الاية 87 »

وقرأ النخعي : « ولا تجسسوا » بالجيم وليس من قرابة صوتية بين الحاء والجيم نعم ان هناك قرابة في الدالالة المعنوية مع خلاف يسير . ثم الا يكون لتشابه الرسم شيْ أوجب هذه

القراءة في حالة التخفف من قيد الاعجام : ولهذه القراءة نظائر في سورة الحجرات الآية 12 في قوله تعالى « ولا تحسسوا » فقرئت : « ولا تجسسوا » وفي سورة الاسراء الآية 5 في قوله تعالى « فجاسوا خلال الديار » فقرئت « فحاسوا » بالحاء المهملة .

وقال تعالى : « بدم كذب » « الآية 18 » .

وقرأ الجسن وابن عباس : « بدم كدب » بالدال المهملة . والكدب لا تعني الكذب وان حصل ابدال بين الذال والدال في كلمات اخرى . واغلب الظن ان هذا الابدال شائع في اللغات الحاصة ومازال معروفا في لغاتنا الحديثة الدارجة .

من شواذ سورة الكهف من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « فوجدا فيه جدارا يريد ان ينقض » « الآية 77 » .

وقرأ ابن مسعود : « ان ينقاض » وهي قراءة جيدة مقبولة وان شذت عن المصحف وقرأ الزهري ويحيى بن يعمر : « ان ينفاض » بالفاء الموحدة لا القاف مع التشديد (45) ومع توفر شيء من معنى قريب الا ان الابدال الصوتي غير متوفر للقرابة الصوتية . ثم ألا يكون هذا شيئا من تشابه « الرسم » بين الفاء والقاف اذ يصعب التمييز بين النقطة الواحدة والنقطتين : والذي يقوى هذا الظن ان يحيى بن يعمر من اصحاب اللغة والنحو ولا يمكن ان تخفى عليه قوة (انقض) بالقاف وانها شيء أقوى من « انفض » بالفاء .

من شواذ سورة مريم من كتاب « مختصر » خالو يه

قال تعالى : « فاما ترين من البشر احدا » « الآية 26 » .

وقرأ ابن الرومي « ترئن » بالهمز عن ابي عمرو . وروي عنه شيء من هذا في سورة التكاثر الآية 6 : (لترون الجحيم) فقرأ « لترؤن » بالهمز وهو عند اكثر النحويين لحن .

من شواذ سورة طه من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « وأهش بها على غنمي » « الآية 18 » .

وقرأ عكرمة : « وأهس » بالسين المهملة وهذا ضرب من الابدال الصوتي بين الشين والسين للقرابة الصوتية في صفة كل منهما فكلاهما رخو مهموس (46) .

من شواذ سورة الحج من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « لهدمت صوامع وبيع وصلوات » « الآية 40 » .

قال ابن خالويه فيها احدى عشرة قراءة هي : صلَوات ، وصُلُوات وقرأها ابو العاليـــة والكلبي والضحاك ، وصُلّوات وقراها جعفر بن محمد . وصلوات وقراها الجحدري . وصلوب

بالباء الحجاج والجحدري ، وصَلْوات باسكان اللام وقرأها ابو العالية ايضا ، وصِلْوات وقرأها الجحدري ، وصُلْواث بالثاء وقرأها الجحدري ايضا وصُلوثا وقرأها مجـاهد ، وصُلوات وقرأها الكلي ، وصلويثا وقرأها عكرمة ، وزاد ابن مجاهـد صلْواث بكسر الصاد وبالثـاء .

أقول : ان هذه الكلمة من المشترك السامي فهي في العبرانية والارامية وفي غيرهما من اللغات السامية . اما الاختلاف في ضبط بالحركات القصيرة والطويلة فهو شيْ يرجع الى اختلاف اللغات واما الاختلاف في روايتها بالثاء أو التاء فذلك شيْ يتصل بالأصل السامي وما يحدث بين التاء والثاء فيها من ابدال الا ان الغريب الذي لا افهمه هو مجيئها في قراءة بالباء وما أظنها الا من باب السهو والخطأ اذ لا وجود لهـذا الاصل في الصور السامية للكلمة . ومثل هذا ما ورد في سورة « المؤمنون » في الآية 36 وهي لفظة « هيهات » فقد وردت في قراءات كثيرة تختلف في ضبط الكلمة وفي الابدال بين الهاء الاولى والهمزة فقرئت « أيهات » وأبهى » إلى قراءات أخرى لا تخرج عن حدود اختلاف الضبط غير ان قراءة واحدة هي « ايهان » بالنون لا سبيل إلى فهمها الا على اساس السهو أو لعله من تشابه الرسم .

من شواذ سورة القصص من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « انه لا يحب الفرحين » « الآية 76 » .

وحكي عيس بن سليمان ان سمع قراءة « الفأرحين » والغرابة في هذه القراءة انه لم يسمع بناء « فاعل » من الفعل « فرح » ولعل هذا كان معروفا في لغة من لغات العرب .

من شواذ سورة يس من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « الم اعهد اليكم يابني آدم » « الآية 60 » .

وقرأ يحيى ابن وثاب « الم اعهد » بكسر الهمزة وبنو تميم يقرؤون « ألم أحد » وهذا الابدال مع الادغام يؤلف ظاهرة صوتية فريدة : ومثل هذه الظاهرة يحصل في الالسن الدارجة في عصرنا .

ومن شواذ سورة الواقعة من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « وطلح منضود » « الآية 29 »

وقرأ علي ابن ابي طالب : « وطلع منضود » بالعين . ودلالة الطلع غير الطلح . فالطلع هو طلع النخل والطلح ضرب من الشجر . ولكن نسبة القراءة الى علي بن ابي طالب نكسبها علوا ومكانـــة .

ومن شواذ سورة الجديد من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب » « الآية 29 » .
وقرأ الحسن : « ليلا » بالياء بالتسهيل وتسهيل الهمز يجري على سنن اللغات الدارجة

شواذ سورة المزمل من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « ان لك في النهار سبحا طويلا » « الآية 7 » .
وقرأ يحيى بن يعمر : « سيخا » بالخاء المعجمة ، وهذا الابدال الصوتي يسوغه القرابة الصوتية في الحيز والمخرج . على ان فرقا كبيرا في الدلالة بين القراءتين والسبح يعني النوم . والسبح يعني الفراغ والتصرف والاضطراب والجيئة والذهاب .

من شواذ سورة سبأ من كتاب « مختصر » ابن خالوية

قال تعالى : « بل مكر الليل والنهار » « الآية 33 » .
وقرأ سعيد بن جبير وجعفر بن محمد : « بل مكر الليل » بتشديد الراء (7 4) وهي قراءة غريبة .

من شواذ سورة النبا من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « وانزلنا من المعصرات ماء شجاجا » « الآية 14 » .
وقرأ عكرمة : « ماء نجاجا » بالنون والخاء . قد يكون « نجاجا » مفيدا ايضا لدلالته على الحركة والصوت وهو من غير شك غير ثجاجا أقول : لعل هذه القراءة تهيأت بسبب من تقارب الرسم :

من شواذ سورة الواقعة من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « فظلتم تفكهون » « الآية 65 » .
وقرأ ابو حيوة العكلي فظلتم تفكنون » بالنون . و« تفكن » بمعنى تندم في حين ان « تفكه » بمعنى تعجب كما ذكر ابن خالوية وفي اللسان : وقال مجاهد في الآية : تفكنون » بمعنى تعجبون وقال عكرمة : انها بمعنى تندمون وبعد فهذه جملة مسائل تتصل بالقراءات الشاذة التنزيل في المصحف الذي وصل الينا وفق القراءات الموحدة المشهورة العالية ولا بد ان أكمل هذه المختارات فاعرض لما في كتاب « المحتسب » لا بن جنى فاتخير منه مالم أجده في كتاب ابن خالوية للغرض نفسه .

من شواذ سورة البقـرة من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « بين المـر وزوجـــه » « الآية 102 » .

وقرأ الحسن وقتادة : « بين المرء وزوجه » بفتح الميم وكسر الراء خفيفة من غير همز وقرأ الزهرى : المر » بفتح الميم وتشديد الراء . وقرأ ابن ابي اسحاق : « المرء » بضم الميم وسكون الراء الهمز . وقرأ الا شهب : « المرء » بكسر الميم والهمز . وتناول ابن جنى هذه القراءات ليعلل شذوذها وابتعادها عن فصيح العربية المشهور فقال : اما قرأة الحسن وقتادة : « بين المر» بفتح الميم وخفة الراء من غير همز فواضح الطريق ، وذلك انه على التخفيف القياسي ، كقولهم في الخبء : هذا الخب ... تحذف الهمزة وتلقي حركتها على الباء قبلها . وعليه القراءة : الذي يخرج الخب في السموات والأرض » (48) .

وبهذه الطريقة المتكلفة خرج ابن جنى هذه قراءة وقد خرج ايضا يتكلف غير قراءة الزهري المتقدمة . أما القراءة المرء « بضم الميم » و« المرء » بكسر الميم فذهب إلى أنهما « لـغة » (49)

وقال تعالى : « فان لكم ماسالتم » « الآية 61 » .

وقرأ يحيـى بن يعمروابراهيم « ماسالتم » بكسر السين ويحاول ابن جنى ان يجد لها تعليلا فلم يفلح فقال : فيـه نظر ، وذلك ان هذه الكسرة انما تكون في أول ما عينه معتله كبعت وخفت ، أو أول فعل اذا كانت عينه معتلة أيضا كقبل وبيع وحِلَ وبِلَ أي حل وبل ... أقول : وكلام ابن جنى لا يعرض للمشكلة من أي وجه فامثلته لا تنطبق على القرأة في « سألتم » بكسر السين ولذلك قال بعد أن استنفد كل فعل يكسر أوله : فاذا كان كذلك فقرأتهما « سالتم » مكسورة السين مهموزة غريب (50) .

وقال تعالى : « ثم اضطره الى عذاب النار» « الآية 106 » .

وقرأ ابن محيصن ثم « اطرّه » . وعلق ابن جنى فقال : « هذه لغة مرذولة ، أعنى : ادغام الضاد في الطاء وذلك لما فيها من الامتداد والفشو ، فانها من الحروف الخمْسة التي يدعم فيها ما يجاورها ، ولا تدغم هي فيما يجاورها . وهي الشين والضاد والراء والفاء والميم .... وقد اخرج بعضهم الضاد من ذلك (51) وقال : لا نه قد حكى ادغام الضاد في الطاء في قولهم في « اضطجع » « اطجع » وانشـدوا :

لمـا رأى أن لا دعه ولا شبع مال الى ارطاة حقف فاطجع

ويروي : « فأضطجع » على الأصل وهو الاكثر والاقيس

أقول : الا يكون الشاهد قد صنع فيه « فاطجع » وضعا وكذبا لا نه روي ايضا على الوجه الصحيح ؟ ومما يقوى هذا الرأى عندى ان هذا الادغام غير معروف ولا مسموع وغير جار على طريقة العربية في اجتماع الا صوات .

من شواذ سورة النســاء من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « الا ان يصلحا بينهما » « الآية 128 » .

وقرأ عاصم : « أن يصّلحا » بتشديد الصاد . وعلق ابو الفتح فقال اراد « يصطلحا » أي يفتعلا . فآثر الادغـام فابدل الطاء صادا . ثم أدغـم فيها الصاد التي هي فاء فصارت يصلحا . ولم يجز ان تبدل الصاد طاء لمـا فيها من امتداد الصفير . ألا ترى ان كل واحـد الطاء وأختيها والظاء وأختيها يدغين في الصاد واختيها ولا يدغم واحدة منهن في واحدة منهن فلذلك لم يجز ان (الا ان يطلحا) وجاز اصلحا (52)

من شواذ سورة الأعراف من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « وهو الذي يرسل الرياح بشرا » « الآية 57 » .

وقرأ الحسن وقتادة وابي رجاء والجحدري وسهل بن شعيب : « نشرا » بضم النون وجزم الشين . وتوجد قراءات عـدة كلها بالياء مع خلاف في الضبط . كما قراء مسروق « نشرا » وعلق ابن جنى معللا كل قراءة فقال في « نشرا » انها تخفيف « نشر » بضمتين وهي قراءة « العامـة » والنشر جمع نشور لا نها تنشر السحاب وتستدره . والتثقيل أفصح لا نه لغة الحجازيين . والتخفيف في نحو ذلك لتميم (53) وهذه اشارة واضحة إلى اللغات الخاصة التي اعتمدت عليها القراءات ثم ان قوله قرأة « العامـة » يشير إلى ان للعامة نمطا يبتعد كثيرا أو قليلا عن القراءات الفصيحة المشهورة ثم ألا يجوز ان تكون هذه القراءة قد تولدت من تشابه الرسم :

من شواذ سورة التوبة من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « لولوا اليه وهم يجمحون » « الآية 57 » .

وقد روي الأعمش قال : « سمعت أنسا (54) يقرأ « لولوا اليه وهم يجمزون » قيل له وما يجمزون ؟ انما هي يجمحون فقال : يجمحون ا يجمزونواحد قال ابو الفتح : ظاهر هذا أن السلف كانوا يقرؤون الحرف مكان نظير من غير ان تتقدم القراة بذلك . لكنه لموافقته صاحبه في المعنى . وهذا موضع يجد الطاعن به اذا كان هكذا على القراة مطعنا . فيقول : ليست هذه الحروف كلها عن النبي ﷺ . ولو كانت عنه لما ساء بدال لفظ مكان لفظ اذ لم يثبت التخيير في ذلك عنه . ولما انكر ايضا عليه : « يجمزون » الاان حسن الظن بأنس يدعو إلى تقدم القراءة بهذه الأحرف الثلاثة التي هي « يجمحون » و « يجمزون » و « يشتدون » . فيقول : اقرأ بايهـا شئت ، فجميعها قراءة مسموعـة عـن

النبي ﷺ . لقوله عليه السلام : نزل القرآن بسبعة احرف كلها شاف كاف فان قيل : لو كانت هذه الاحرف مقرؤا بجميعها لكان النقل بذلك قد وصل الينا . قيل أولا يكفيك أنس موصلا لها الينا ؟ فان قيل : إن أنسا لم يحكها قراءة وانما جمع بينها في المعنى ، واعتل في جواز القراءة بذلك لا بانه رواها قرأة متقدمة . قيل : قد سبق من ذكر حسن الظن ماهو جواب عن هـذا .

من شواذ سورة سبأ من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « حتى اذا فزع عن قلوبهم » « الآية 25 » .

وقرأ الحسن وقتادة وابوالمتوكل : « فزع » بفتح الفاء والزاء مع تشديدها وبالغين وقرأ الحسن وقتادة ايضا : « فرع » بالراء خفيفة . وقد روي عن الحسن : « فرغ » بضم الفاء وبالراء مشددة وبالغين .

وقال ابوعمر الدوري : بلغني عن عيسى بن عمر انه كان يقرأ : حتى اذا افرنقع عن قلوبهم قال ابو الفتح : المعنى في جميع ذلك حتى اذا كشف عن قلوبهم . ثم التمس وجها وتعليلا لكل قراءة .

وقال ابوحاتم : قال يعقوب روي أيوب السختياني عن الحسن : « فرغ » بضم الفاء وكسر الراء وخفيفها . واعجبه العين فقيل للحسن : انهم يقولون : « فرغ » مثقلة . فقال الحسن : لا . انها عربية . قال : ولا أظن الثقات رووها عن الحسن على وجوه الا لصعوبة المعني عليه . واختلفت الفاظه . وقال فيها أقوالا مختلفة . يعني ابو حاتم اجتماع معنى فزع مع معنى فرغ في ان الفزع : قلق مفارقة للموضع المقلوق عليه والفراغ : اخلاء الموضع فهما من حيث ترى ملتقيان وكذلك معنى افرنقع يقال : افرنقع القوم عن الشيء أي تفرقوا عنه (55) لقد بدا لنا من هذا الاستقراء لنماذج من القراءات الشاذة انها مواد لغوية ابتعدت قليلا أو كثيرا عن السنن المشهور في القراءات العالية . وهذا يعني انه في الوقت الذي سادت عربية فصيحة ذات نمط عال في ابنيتها ونحوها كانت هناك انماط أخرى لغوية تشد عن هذا الخط المستقيم . ومما تجدر الاشارة اليه أني لم اذكر النماذج التي خالفت فيها القراءات الشاذة قواعد النحو العربي معتمدا ان الدارسين للنحو كانوا قد مروا بنماذج منها في كتب النحو . وقد حاول النحاة التماس وجه لتجويزها وتقريبها من مشهور الاسس النحوية . على ان من النحاة من لم يستطع التماس هذا الوجه فحمل القراءة على اللحن حصل لهم في شيء من القراءات العالية .

وهذا يعني ان مادة ماتدعوه في عصرنا بـ « اللهجات » كانت واضحة في القراءات الشاذة كل الوضوح في الوقت الذي استطاعت فيه جهود اللغويين بعضدهم الحاكمون إلى ان تكون لغة فصيحة اخذت طريقها إلى مجتمع آخذ بالنماء والاتساع وكأن جمهرة القراء لم يأبهوا لا قوال اللغويين النحاة ونقدهم وان كان بين هؤلاء القراء جماعة من اصحاب النحو واللغة . وتسمية

هذه القراءات بالشواذ حَمَلَ الضيم عليها فهي ليست دائما لغة الناس والطبقات العامة فقد يكون بين الذين رويت هذه القراءات أعلم الناس بكتاب الله وأقرؤهم له هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وبينهم عبد الله بن مسعود وهو أحد كتاب الوحي وبينهم أنس بن مالك صاحب رسول الله وخادمه ، وعيسى بن عمر ويحي بن يعمر من كبار النحويين .

وما يقوي هذه القراءات رأي كبار اللغويين فيها ومنهم ابن جنى في مقدمة « المحتسب » وقد أشرنا إلى ذلك . وقد اشار ابن جنى ليقوي هذه النماذج من القراءات إلى أنها تتصل بلغات القبائل والاقاليم فيما نسبه ابن جنى من ذلك .

آ ـ تسكين الهاء عند الوصل : جاء في « المحتسب »[57] ومنهم من يدع الهاء على سكونها في الوصل كما يسكنها عند الوقف كما ان منهم من يسكن الهاء المضمرة إذا وصلها فيقول : مررت به أمس ، وذكر أبو الحسن أنها لغة لأزد الشراة . ذكر ابن جنى هذا في التعليق على الآية [58] في قراءة من يقرأ « هذ هي سبيلي » بالياء اللاحقة بعد الهاء .

ب ـ ومن لغة المسائل الآتية :

1 ـ تخفيف ثقل الحركات المتتابعة بعد التسكين : جاء في « المحتسب »[59] ومن ذلك قال ابن مجاهد : قال عباس : سألت أبا عمرو عن « يعلمهم » الكتاب ، فقال أهل الحجاز يقولون لا يعلمهم ويلعنهم »[60] مثقلة ، ولغة تميم يعلمهم ويلعنهم .

قال ابو الفتح : فأما التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه ، لأنه استيفاء واجب الاعراب ، لكن من حذف فعنه السؤال وعلته توالي الحركات مع الضّمات ، فيثقل ذلك عليهم فيخففون باسكان حركة الاعراب . وعليه قراءة أبي عمرو.

2 ـ إدغام المضارع المجزوم المضعف اللام .

جاء في « المحتسب »[61] ومن ذلك قراءة عمرو بن عبيد وأبي جعفر يزيد بن القعقاع (ولا يضار)[62] بتشديد الراء وتسكينها . قال أبو الفتح : أما تشديد الراء فلا سؤال فيه ، لأنه يريد « يضارر » بفتح الراء الأولى أو بكسرها . وكلاهما قد قرئ به ، أعني الفتح في الراء الأولى والكسر والادغام لغة تميم ، والاظهار لغة الحجازيين على ما مضى ، لكن تسكين الراء مع التشديد فيه نظر.

3 ـ تسكين ثاني الثلاثي إذا كان مضموما او مكسورا . جاء في « المحتسب »[63] وهو الذي يرسل الرياح بشرا « قرئت » « نشرا » بضم النون وجزم . قال أبو الفتح : اما نشرا فتخفيف « نشرا » في قراءة العامة والنشر جمع نشور لأنها تنشر السحاب وتستدره ، والتثقيل أفصح لأنه لغة الحجازيين والتخفيف

في نحو ذلك لتميم وهذه جارية في نظائر هذه الآية فالحبك باسكان الباء لغة تميم وبالضم لغة الحجاز في قوله تعالى : « والسماء ذات الحبك » سورة الذاريات 7

4 ـ كسر شين عشرة : جاء في « المحتسب »[65]
ومن ذلك قراءة الاعمش وطلحة بن سليمان : فانبجست منه اثنتا عشر عينا »[66] بكسر الشين من عشرة قال ابو الفتح : ان « عشرة » بكسر الشين فتميمية وأما اسكانها فحجازية .

5 ـ كسر او المضار اذا كان ثاني ماضيه مكسورا : جاء في « المحتسب »[66]
ومن ذلك قراءة يحي والاعمش وطلحة ورواه الازرق من حمزة « فتمسكم النار »[68] بكسر التاء قال ابو الفتح : هذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ، ثاني ماضيه مكسور نحو علمت تعلم وأنا أعلم ونحن نركب وثقل الكسرة في الياء نحو يعلم ويركب استثقالا للكسرة في الياء . وكذلك ما في اول ماضيه همزة وصل مكسورة نحو تنطلق ، ويوم تسود وجوه فكذلك تمسكم النار

6 ـ جمع صنو على صنوان (بالضم) جاء في « المحتسب »[69]
والصنوان بالضم لتميم وقيس ، وبالكسر لأهل الحجاز

7 ـ تسمية القبر بالجدف في لغة تميم[70] وبالجدث في لغة الحجاز.

ومن اللغـات الخاصـة

كسر شين « شجرة »

جاء في « المحتسب »[71] قال عباس : سألت أبا عمرو عن « الشجرة » بكسر الشين فكرهها وقال : يقرأ بها برابر مكة وسودانها ومن هذه اللغات

كسر همزة أيان « كما جاء في المحتسب »[72] وقد قرأ السلمى : « ايان مرساها »[73] بكسر الهمز والسلمي يشير إلى بني سليم ومنها : ضم اول الاجوف حين بنائه للمجهول وقلب عينه واوا نحو قول وبوع وهي لغة لبني ضبة[74] .

ومنها : تحريك الحلقي الساكن بعد فتح : جاء في « المحتسب »[75]

ومن ذلك قراءة سهل بن شعيب النهمي : « جهره »[76] و« زهبرة »[77]

قال أبو الفتح مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح : أنه لا يحرك الا على أنه لغة فيه . ومد ... ويذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وان لم يسمعوه ، كالبحر والبحر والصخر والصخر. وما أرى القول من بعد الا معهم ، والحق فيه الا في أيديهم . وذلك انني سمعت

عامة عقيل تقول ذلك ولا تقف فيه سائغا غير مستكره . حتى لسمعت الشجر يقول أنا محموم بفتح الحاء وليس احد يدعي أن في الكلام مفعول بفتح الفاء ومنها : ان الكوفيين أجازوا « ترئن » بالهمز وهي قراءة أبي عمرو وانشد

« كمشترئ بالحمد أحمرةً بُئسوا »(٦٨)

ومنها قلب الف المقصور ياء حين يضاف إلى ياء المتكلم . كقراءة النبي ﷺ وأبي الطفيل وعبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر الثقفي : « فمن اتبع هُدَيَّ » . قال أبو الفتح : هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم(٦٩)

بعد هذا العرض لحال العربية في لهجاتها من خلال كتب اللهجات والقراءات وما أثر عن المتقدمين من كبار الصحابة واللغويين ممن عنوا بالقرآن يبدو لي أن العربية توحدت في نمط فصيح في أبنيته ومعانيه وأصواته ونحوه وصرفه بسبب الجهود التي توجهت إلى جمع القرآن وتوحيد وتهيئة المصحف المشهور ولولا ذلك لكانت لغات عدة تختلف كل شيء من عناصرها المختلفةورب سائل يسأل : لِمَ كانت النصوص الشعرية جارية على النمط الفصيح المشهور ولِم يعرض لها ما وجد في القراءات ؟

والجواب عن هذا أن رواة الشعر ونقاده وجلهم من ثقات اللغويين رسموا لهم منهجا صارما في أخذ النصوص الفصيحة على النمط الذي يؤيد آراءهم في اللغة والنحو. وهذا يعني أنهم نبذوا أشياء كثيرة لا تخدم هذا المنحى الصارم .

الدكتور ابراهيم السامرائي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

المصادر والمراجع

1) انظر صحيح البخاري . كتاب فضائل القرآن . الباب الثاني والباب الثالث . الاتقان 1 / 102 المصاحف لابن أبي داود ص 18 . تفسير الطبري 1 / 20 ـ 21 .
2) انظر غاية النهاية 1 / 458 (ترجمة عبد الله بن مسعود) .
3) انظر تفسير الطبري 1 / 21 وانظر الاتقان 1 / 102 ـ 103 والمقنع للداني ص 8 .
4) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص 12 .
5) والى هذا ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام واحمد بن يحيى ثعلب انظر البرهان للزركشي 1 / 217 .
6) انظر الاتقان 1 / 81 البرهان 1 219 .
7) انظر الاتقان 1 / 230 .
8) المصدر السابق 1 / 227 (النوع السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز).
9) البرهان 1 / 219.
10) المصدر السابق.
11) البرهان 1 / 239 المصاحف لابن ابي داود ص 5 .
12) الاتقان 1 / 103.
13) البرهان 1 / 240.
14) سورة يوسف الآية 35.
15) الزمخشري الكشاف 2 / 468.
16) الخطيب . تاريخ بغداد 1 / 280 وانظر طبقات القراء لابن الجزري 2 / 52 .
17) التيسير في القراءات السبع للداني (استنبول سلسلة نشريات المكتبة الاسلامية).
18) النشر في القراءات لابن الجزري،المكتبة التجارية في القاهرة .
19) مختصر البديع لابن خالويه طبع القاهرة (المطبعة الرحمانية سنة 1934).
20) المحتسب لابن جني (من مطبوعات المجلس الا على للشؤون الاسلامية في القاهرة).
21) هو احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي المعروف بابن مجاهد من ائمة القراءات وهو الذي سبعها توفي سنة 324 هـ انظر طبقات ابن الجزري 1 / 139.

22) ابو بكر محمد بن الحسن بن مقسم ، من ائمة القراء في بغداد ويذكر عن انه كان يقول ان كل قراءة وافقت ووجها في العربية والقراءة بها جائزة وكانت وفاته سنة 354 هـ انظر طبقات ابن الجزري 2 / 123.

23) لئلا يرى مـرى : لئلا يظن ظان.

24) سورة الحشـر 7.

25) هو عبد الله بن كثير من اصل فارسي كان امام القراءة في مكة وأحد البسعة توفي سنة 120 هـ انظر طبقات ابن الجزري 1 / 443.

26) وردت هذه الكلمة في الايات : 5 من سورة يونس و48 من سورة الانبياء و71 من سورة القصص وهذه القراءة هي رواية قنبل عن ابن كثير كما في اتحاف فضلاء البشـــر.

27) هو عبد الله بن عامر اليحصبى امام أهل الشام في القراءة واحد السبعة توفي سنة 118 هـ انظر طبقات ابن الجزري 1 / 423 .

28) المحتسب 1 / 32 = 33 .

29) الخصائص 2 / / 10.

30) المصدر السابق 2 / 12.

31) المزهر للسيوطي .

32) هذا وهم ولعل من خطأ السيوطي لا الفارابي لان لغة نصارى الشام في العهود الاسلامية هي الارامية السريانيـــة .

33) المزهر للسيوطي 1 / 212.

34) سورة الاعراف 10.

35) لسان العرب (عيش).

36) مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص 1.

37) سورة الشعـراء 210.

38) البيان والتبين 2 / 4 (ط. مصر 1311 ـ 1131) عن كتاب (ترجمة النجار).

39) البيان والتبين 2 / 219 (تحقيق عبد السلام محمد هارون) .

40) ومن المفيد ان أشير إلى ان هذا حاصل بين الكلمة العربية ونظيرتها في اللغات السامية كالعبرانيـة والسريانية والكلمة غرب تكون في العبرانية عـــرب ومثله غـــرب عن البال = عـــرب.

ومن المفيد ان « غرب » عن البال « في العربية يتحول إلى » « عزب » بالعين المهملة والزاي ومن هذه الامثلة : غراب في العربية = عـــورب في العبرانية ، وفي اللغة السريانية (عزب شمشا) أي غربت الشمس .

41) كتاب ليس لابن خالويه وانظر المزهر 1 / 146 .

42) انظر اللسان « تلتل » وانظر الصاحبي في فقه اللغة لاحمد بن فارس في موضوع « اللغات المذمومـــة » .

43) ذكر ابن جنى في « المحتسب » 1 / 280 هذه الاية في شواذ سورة الانفال وقال لم يمرر بنا في اللغة تركيب (ش ر ذ) واوجه ما يصرف اليه ذلك ان تكون الذال بدلا من الدال كما قالوا . لحم خردال وخرذا والمعني الجامع لهمـا انهما مجهوران ويتقاربان .

44) ومن الغريب ان هذا النوع من الابدال الصوتي يحصل بين العربية والعبرانية نحو (ضحك) في العربية (صاحق) في العبرانيـــة .

45) وفي المحتسب 2 / 31 لابن جنى : وقرأ علي بن ابي طالب وعكرمة وابو شيخ الهنائي ويحيى بن يعمر « ينقاص » بالصاد المهملة قال ابو الفتح و(ينقاص) مطاوع قصته فانقاص اي كسرته فانكسر.

46) ومن المفيد ان اعرض لحقيقة ان كثيرا من الكلمات التي وردت بالسيق في العربيـة يقابلها الشين في العبرانية نحو شمس في العربية شمش في العبرانية وهوكثير .

47) وزاد ابن جنى في المحتسب 2 / 193 وهي قراءة ابي رزين ايضا وهو مسعود بن مالك روي عن ابن مسعود وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما انظر طبقات ابن الجزري 2 / 296 .

48) سورة النمل الآيـة 25 .

49) المحتسب 1 / 101 ـ 102 .

50) المحتسبة 1 / 88 .

51) المصدر السابق 1 / 106 .

52) المصدر السابق 1 / 201 .

53) المصدر السابق 1 / 255 .

54) هو انس بن مالك الانصاري صاحب رسول الله وخادمه روي عنه سماعا توفي سنة 91 هـ انظر طبقات ابن الجزري 1 / 172 .

55) المحتسب 1 / 296 .

56) المصدر السابق 1 / 296 .

57) المصدر السابق 2 / 162 ـ 163 .

58) المحتسب 1 / 244 .

59) سورة يوسف 108 .

60) المحتسب 1 / 109 .

61) سورة البقـرة 129 ، 159 .

62) المحتسب 1 / 148 .

63) سورة البقـرة 282.
64) المحتسب 1 / 255.
65) سورة الاعراف 57.
66) المحتسب 1 / 261.
67) سورة الاعراف 160.
68) المحتسب 1 / 330.
69) سورة هـود 113.
70) المحتسب 1 / 351.
71) المصدر السابق 2 / 66.
72) المصدر السابق 1 / 73.
73) المحتسب 1 / 268.
74) سورة الاعراف 187.
75) المحتسب 1 / 345 _ 346.
76) المحتسب 1 / 83.
77) البقـرة 55.
78) سورة طه 131.
79) المحتسب 2 / 40.
80) المحتسب 1 / 76.